الجنسية واللغة

يراد بالجنسية الانتساب الى قوم تضمهم جامعة واحدة ويخضعون لقانون واحد بدون التفات الى وحدة الاصل وكثرة العدد واختلاف اللغة والدين كالجنسية الفرنساوية والالمانية والانكليزية والعثمانية والنمساوية الخ . وهي في عرف الناس وفي نظر رجال الحكومات صفة لازمة للقومية وقوة مقوّمة لكيان المملكة وحفظ المجتمع وفي نظر بعض علماء الاجتماع ضلال من ضلالات الزمان التي استولت كما استولى غيرها على الاذهان ولا بد ان يقضي الزمان بالغائها كما قضى على غيرها من الاوهام والخرافات

يظهر لاول وهلة ان هذا الرأي الاخير بدعة تزعزع اركان الوطنية وتبدد عناصر القومية وتضعف روابط الجامعة وتهدم بناء المملكة . ولكن يتضح بعد الامعان والتمعن في ما يلي انهُ حقيقة لا بد من ثبوتها في المستقبل البعيد

اذا استولى الوهم على الذهن كان اشد تأثيراً فيهِ من العقل واذا اندسّ في اخلاق الامم وعاداتها كان شديد المراس لا يزحزح الاّ بعد جهد وعناء شديدين . واذا طال الزمن على عقيدة فاسدة شقّ على العقل والعلم نقضها وامتناع الجمهور بفسادها لان الخرافات اطلق بالاذهان من الحقيقة واشد منها تمكناً واستمساكاً بدليل ما نرى منها الى الآن في عادات ارقى الامم مدنية واعلاها علماً وادباً . ومن قبيلها اجماع الناس على الاعتقاد بالجنسية اعتقاداً غلب فيهِ الوهم على الحقيقة فيعطونها ما ليس لها من الحدود والصفات والمميزات التي لا تعتبر في نظر علماء الاجتماع الاّ حيلاً سياسية لاستعباد الاقوام الصغيرة وتمهيد القوة الحاكمة . وهي تظهر باشد مظاهرها في البلاد التي تقوى الروح الوطنية فيها وتصبح خطراً على البلاد المجاورة وحيث الرغائب والاميال والحذر من المستقبل والاستكثار من تقدم الامم الاخرى وتفوقها والانفعال من خسارة بعض الامتيازات تحوّل الاذهان عن فهم الحقيقة وتميل بها الى تفسير القضايا الاجتماعية تفسيراً يوافق تلك الرغائب والاميال . نرى ذلك في فرنسا التي خسرت سيادتها في اوربا بعد وحدة المانيا ووحدة ايطاليا . وفي النمسا حيث تطالب الشعوب المظلومة بحقوقها . فاذا خلا الذهن من تلك الاكدار حسب الروح الوطنية ظاهرة من الظواهر الطبيعية تؤثر في الفرد كما تؤثر في العموم ولها حد من النمو لا يمكن توقيفهُ او منعهُ كما انهُ لا يمكن توقيف المد والجزر او منع حرارة الشمس في ابان الحرّ . على ان من الضلال الفاضح ان يكون اساس الجنسية الاساس الذي وضعتهُ السلطات الحاكمة وتحاول ان ترسخ

في الاذهان ان اقل جنوح عن نظامها يفقد الانسان جنسيتهُ ويجعلهُ شريداً طريداً في مجاهل الانسانية

فما هو اساس الجنسية ؟ وما هي علامتها المميزة ؟

اذا رجعنا الى الانثروبولوجيا وهو العلم الوحيد الذي يرجى منهُ حل المسئلة لم نجد فيهِ ما يفي بالغاية لان علماء الانثروبولوجيا فريقان الواحد يقول بتعدد اصول الانسان والآخر يقول بوحدة الاصل فالقائلون بالتعدد يزعمون ان الاسباب التي ساعدت على ظهور الانسان في بقعة من الارض ساعد مثلها على ظهوره في بقعة اخرى وان ما بين الاجناس البشرية من الاختلافات الجوهرية كاختلاف اللون والصفات والتركيب مسبب عن اختلاف الاصول وليس عن تحول الصورة الاصلية وتطبيق الحياة على الاحوال المحلية . فهذا الرأي لا يحل المسئلة حلاً شافياً عدا عن انهُ لا يخلو من النقد ولم يتفق عليهِ علماء الانثروبولوجيا . اما الفريق الثاني فيقول ان التغييرات التي تحصل في النسل الواحد بفعل الاحوال المحيطة وتأثير العوامل المحلية في حدود الجنسية ويسبب لكل شعب صفات خاصة تميزهُ عن بقية الشعوب ولو كانت من نسل واحد . على ان تلك الصفات ليست الا صفات خارجية لا تدل دلالة صريحة على وجود حدود فاصلة بين الهيئات الوطنية لان في كل شعب ولاسيما في النسل الابيض افراداً كباراً وصغاراً وشعراً اشقر واسود وعيوناً زرقاً وسوداً ومزاجاً بارداً وحاراً . واذا تغلبت بعض الصفات في شعب والبعض الآخر في شعب آخر فالعلامات الجسمية والعقلية تقرب ان تكون واحدة وليس فيها من الصفات الخصوصية ما يمتاز بها شخص عن آخر وتعرف بها جنسيتهُ كما يعرف النسل الاسود بالجلد الاسود والشعر الاجعد وهيئة الفك والوجه

فهذه الصفات التي يعتمدون عليها اهمية كبرى ليست بيولوجية لتحدث تغييراً في ذاتية الانسان ولا جوهرية لتضع حدوداً فاصلة بين الجنسيات لانها تكتسب بالتعليم والتهذيب والتدريب وتزول بعد البلوغ وفي ظروف معلومة . تدلنا على ذلك احوال الولد الذي ينقل طفلاً من قومهِ وينمو ويعيش في وسط آخر بعيد عن اهلهِ فانهُ يكتسب صفات ذلك الشعب الغريب ولا يظهر فيهِ اثر من صفات قومهِ لان تلك الصفات اعراض قابلة الزوال حتى لقد يخسر البالغ صفات قومهِ ويكتسب صفات قوم يخالطهم كما اكتسب البرامكة صفات العرب وضرب المثل ببلاغة نواقيمهم وكما ان الايوبيين وهم اكراد صاروا اشد نصرة للعرب من العرب انفسهم وكان منهم شعراء وعلماء واجازوا الشعراء ووقف منهم على ابوابهم ما لم يقف على ابواب غيرهم من ملوك العرب . والسموأل وابن سهل يهوديان وهما شاعران عربيان تتدفق

الروح العربية من انقاضهما . والامثلة على ذلك كثيرة يروى منها عند كل الامم فقد قام كتبة المانيون من اصل فرنساوي تفتخر بهم المانيا وقام المانيون في فرانسا وايطاليون في انكلترا وقس عليه . فالرابطة الدموية اذاً ليست شرطاً جوهرياً لتحديد الجنسية فالهيغونوت (وهم البروتستانت الفرنساويون الذين هربوا من الاضطهاد) الذين هاجروا الى برانديورج اصبحوا من افضل الالمان والهيلانديون في استردام الجديدة صاروا اميركيين لا غبار على وطنيتهم . اي ان الحرب والمهاجرات الكبرى والاسفار مزجت الناس بعضهم ببعض حتى لم يبق فارق يفرق العناصر القومية بعضها من بعض عدا عن ان التشريع لا يعير القرابة الدموية اقل اهمية لانهُ يسهل للغرباء ان يتجنسوا بجنسية المملكة اي يصيروا وطنيين لهم ما لاهل الوطن من الحقوق وعليهم ما على مواطنيهم من الواجبات . فالانثروبولوجيا ليست اساساً للجنسية وكل ما يقال فيها واهن من هذه الجهة وغير ثابت

وقد حاولوا ان يجعلوا اساس الوطنية الاشتراك في المنافع والمرافق وقالوا ان ما يجعل الناس اعضاء امة واحدة هو الماضي المشترك والمستقبل المشترك وكونهم تحت سلطة واحدة وخضوعهم لشرائع واحدة واشتراكهم في الافراح والاتراح . الاَّ ان ذلك نظرية سفسطية تصح قولاً ولا تثبت فعلاً لان الروماني في غاليسيا لا يشعر على الاطلاق بكونهِ بولونياً مع ان الرومان والبولونيين اشتركوا في الشرائع والنظامات السياسية منذ اكثر من الف سنة . والفينلاندي يعتبر جنسيتهُ غير جنسية السويدي رغماً عن انهما يؤلفان شعباً واحداً ويسيران على سياسة واحدة منذ اكثر من الف سنة ايضاً . لا ريب في ان الشرائع والنظامات واتفاق العادات والاخلاق وارتباط الاعمال تقرب العناصر بعضها من بعض وتولد فيها شعوراً بالتضامن الاَّ انها لا تنزع جنسية من صدور قوم ولا تخلق اخرى في قوم آخرين

كل ذلك فن احيالي تضرب بهِ الحقيقة عرض الحائط . فالجنسية لا تعرف من صفات الفرد الاَّ ما تدر والشرائع والنظامات لا تحدد الجنسية حدًّا صحيحاً فاصلاً بالرغم عمَّا لها من التأثير في الاخلاق بل ما يحددها هو اللغة لان بها وحدها يصبح الانسان عضواً من شعب خاص وبها يتولد فكرهُ وشعورهُ وبها يقتبس منهج الشعب الذي كونها واتقاها ووضع فيها اسرار عقلهِ ونفث فيها نسمات روحهِ وكساها بادق خصوصياتهِ العالية . وبها يصبح ابنَّا ووارثاً لكل المفكرين والشعراء ولكل النبغاء وقواد الشعب وبها يشابه قومهُ فكراً وعملاً لانها تستهوي الافراد بتاريخها وآدابها . وهي بالحقيقة الانسان كلهُ لانها سلك الايصال للمدركات الخارجية والآلة الجوهرية التي تساعد على العمل في العالم الخارجي . فمن

بين الملايين يقوم مفكر واحد يفكر في قومه فيكتب لهم لاصلاح مجتمعهم فيأخذ الملايين عنهُ ما انتجهُ فريحتهُ الذكية ويتناولون باللغة ما لا يتناولونهُ باية آلة او واسطة اخرى . فاللغة هي اقوى رابطة تربط الناس بعضهم ببعض لان اخوين لا يتكلمان لغة واحدة يكونان بعيدين احدهما عن الآخر اكثر من غريبين يتعارفان ويتبادران السلام بلغة واحدة

كنت وبعض الزملاء في الاستانة وكنا نختلف الى بعض الاندية ونتكلم بلغتنا العربية فابتدرنا شيخ بناهز الستين تتقاذفهُ عوامل الفرح واليأس والقنوط والامل والحب والبغض قال بالحرف « يا اشقاوتي هنا ابناء وطني يتكلمون العربية وانا اموت حسرة في الاستانة » قلنا ومن اين الشيخ قال من بغداد قلنا واين سورية من بغداد قال تجمعنا اللغة

وقعت بين الانكليز والاميركان حروب طاحنة وحصلت مشاكل شتى زادت شقة البعد بين الشعبين ولكنهما تجاه غير الانكليزي واحد ويشعران بانفسهما انهما ابناء بريطانيا العظمى

لما قامت الحرب بين الانكليز والبوير خفق قلب الهولنديين وتفتت المآ رغماً عن انقطاع العلاقة السياسية بين هولاندا والكاب منذ نحو قرن . وفي حرب ١٨٧٠ تشيع اهل سويسرا وبلجيكا للفرنساويين وحنوا اليهم بكل جوارحهم رغماً عما بينهم وبين الفرنساويين من الفرق العظيم في الشرائع والاخلاق والجنسية السياسية والتذكارات التاريخية . وفي حرب الشلسويك هولشتين فزع النروجيون للدنمارك وتطوع بعضهم لمساعدتهم مع انهم يكرهونهم ويمقتونهم وقد تحرروا من سلطتهم بعد حروب طويلة ولا شيء يربطهم بهم سوى اللغة الا ان هذا اللاشيء هو كل شيء

وفي اللغة عنوان وفي الامة وانحطاط اللغة دليل على انحطاط الامة لانها تتخذ اهمية اذا استخدمتها الامة آلة لنهوضها ورقيها وتقل اهميتها اذا كانت الامة منحطة ومستعبدة للفئة الصغرى منها المستبدة باحكامها لان في مثل هذه الحال لا تحتاج اليها الهيئة الحاكمة لانها لا تتنازل الى مخاطبة الافراد ولا يحتاج اليها الافراد ايضاً لانهُ لا يحق لهم ان يفرغوا ما في قلوبهم في قالب من الكلام الحسن ولا يبقى منها الا ما يلزم الترويض للتفاهم او للهذر والمزاح او للتأوه والتحسر والشتم . وقانون الاستبداد يقضي باظلام البصائر فيحب الظلام ويقبح النور ويسد سبل التهذيب ويقفل ابواب المدارس ويجعل السوط قاموس اللغة ومتنها وكل علومها وآدابها . والشريف في الامة لا يرى ما يدعوهُ الى التعلم لان حقوقهُ يؤيدها شرف الولادة فهو سيد بدون ان يفتح فماً او ان يفحص قلماً في دواة

فالجنسية في هذه الحالة واطئة لان علامتها الرئيسية واطئة الا ان الاحوال تغيرت في

هذه الايام حتى في روسيا وتركيا واصبح لكل فرد من افراد الرعية حق الدفاع عن نفسه وان يعلو فوق الحد الذي وضعتهُ فيهِ احوال ولادتهِ . ولفتت ابواب التعليم وانتشرت الجرائد واعطيت حرية الخطابة فاتسع نطاق اللغة ورقت حواشيها وسمت آدابها واممن فيها الكبير والصغير والغني والفقير حتى الملوك انفسهم اذ علموا ان لا بد لهم من سهولة الكلام في كثير من الاحوال واصبح كل عقبة تقف في سبيل استعمال اللغة الخاصة بالامة أو كل ضغط يوجب استعمال لغة اجنبية عاراً وعنفاً لا يحتملان . ومن كانت جنسيتهُ الصغرى في البلاد التي يتوطنها وكانت لغتهُ غير اللغة الرسمية وحُظر عليهِ استعمال لغتهِ وأُجبر على استعمال لغة اجنبية فانهُ يشعر بألم لا يعرفهُ الاَّ من مرَّ بهذه الشقة وعانى مشقاتها لانهُ يكون كعبد من عبيد القرون الوسطى او كمجرم محكوم عليهِ بالنفي . وما من احد في الكون يرضى بحرمانهِ من امم قوة في الحياة بها يبث شعائرهُ ويعبر عن افكارهِ . وما الحرمان من القاب الشرف بشيء بالنسبة الى الحرمان من اللغة الخاصة . وتقييد الارجل بالقيود ليس بشيء بالنسبة الى تقييد اللسان الذي بهِ تحبس قوى العقل في نفس يمنعها من الظهور والانتشار ويشل حركتها ويقتلها في المحيط المفسد بسياسة الظلم . فنكران اللغة نكران للانانية لا يرضى بهِ الاَّ من سفلت طباعهُ وتدنى الى ان يختفي ويغير وجههُ بالتراب امام الهيئة الحاكمة المستبدة ويضحي حقوقهُ ويدوس على اقدس عاطفة من عواطف الجنسية . على ان مثل هذا السافل او الجبان قليل في العالم لان الاكثرية تتمسك بلغتها وتدافع عنها كما تدافع عن حياتها وتقاوم كل قوة تحمل لاذلالها . ويمكن للامة الحاكمة ان تجعل لغتها اللغة الرسمية وان تمنع لغة الامة المحكومة من المحاكم والمدارس والكنائس والجمعيات والمعاملات ولكنها لا تستطيع ان تمنع حركة الافكار التي تتهيأ لنسف بناء تلك السياسة بعد ان اصبح مجحفاً لا مسحة عليهِ من الانسانية بدلاً من ان يكون ملجأ لتقوية الضعيف وتخفيف آلامهِ

لا يمكن ان تقنع انساناً ذا عقل سليم بقطع رأسهِ ولا تستطيع شريعة ان تقنع امة حيَّة بترك لغتها ومظهر عقلها الخاص . وكل مملكة تحتوي على جنسيات متعددة لا بد من وقوع التنافر والشقاق فيها واذا تكافأت فيها القوات تجزأت وانحلت فما هو العلاج الشافي لذلك . هذه مسئلة من اعقد المسائل الاجتماعية التي حارت في حلها الافهام وهي لا تحل الاَّ بالطرق الراهنة التي لا اشكال فيها ولا تمويه

افضل حل يرتأيهِ رجال السياسة هو اللامركزية بكل معانيها المتسعة . وهو حل مقبول يجب التسليم بهِ الى ان يظهر افضل منهُ لانهُ نظري اكثر مما هو عملي فاللامركزية قد يمكن

تطبيقها والعمل بها في المملكة التي تحتوي جنسيتين متساويتين عدداً وقوة وارتقاء بحيث يستطاع التساوي والتفاهم بينهما كما في بلجيكا ويسر او يستحيل في المملكة التي تكثر فيها الجنسيات كما في النمسا التي تحتوي على اكثر من عشر جنسيات متباعدة ومتنافرة بحيث لا يتألف منها مجموع منسجم في جسم المملكة لان التساوي بين العناصر المتعددة يقضي باستعمال كل لغات البلاد في كل الادارات من مكتب بوسطة القرية الى الوزارة ومن غرفة قاضي الصلح الى محكمة النقض والابرام ومن الجان البلدية الى المجالس النيابية عدا ما يوجب من انشاء المدارس الابتدائية والثانوية والعالية لكل عنصر والسعي لتهذيب آداب كل لغة ومكافأة النبوغ في كل منها . وتلك مطالب لا يمكن تحقيقها والعمل بها لان ذلك تجزئة للمملكة وتفكيك الروابط التي تربط عناصرها بعضها ببعض

ولا يمكن لمملكة تكثر فيها العناصر ان تستغني عن لغة للمملكة تكون اللغة الرسمية فالعنصر الذي تكون هذه لغتهُ يصبح سائداً والعناصر الاخرى مسودة فتتفاوت الحقوق وتمتنع المساواة لان الشريعة تطلق لسان البعض وتخرس لسان البعض الآخر وتقسم ابناء الوطن الواحد الى قسمين احدهما وطني حميم والآخر نصف وطني

رأينا مما تقدم ان اللغة مطلب حيوي لا ينال بالاتفاقات المبرمة والعقود الموجزة وان عقدة الاشكال فيها لا تحل بالطرق التي ذكرناها حلاً يرضي الجنسيات على اختلافها لما ظهر لنا فيها من الاشكال والتعقيد وصعوبة التطبيق فالحل الصادق الصحيح هو القوة لان كل ما عداها لا يفيد الاَّ لتهدئة ثائرة الخواطر الى اجل معلوم لان تنازع اللغة كتنازع البقاء لا بد من ان يجري مجراهُ وينتهي بالهزيمة او بالموت او بالفوز ويجب على المطالب بهذا الحق الحيوي ان لا يقبل الوعود بالامتيازات وان يرفض الاقتراحات للتسوية والتراضي فاما لا شيء واما كل شيء

بدا تنازع الجنسيات منذ آلاف من السنين وكن في ما مضى من الزمان كما تكون النار في الحطب وقد هبَّ من سباته ليسترد القوة التي سُلبت منهُ لان الجنسية المسلوبة الحقوق لا تقيم على الضيم الى الابد الاَّ اذا ضعفت حيويتها وقضى الناموس الطبيعي عليها بالموت . يغير شعب نشيط على بلاد فيفتحها عنوةً ويستولي على اهلها ويستبد باحكامها الاَّ انهُ اذا لم يكن لهُ قوة كافية يوهن بها المغلوب ولم يمحُ لغتهُ بقي دائماً في خطر من القيام عليهِ واذا كان المغلوب اكثر منهُ عدداً قد يطردهُ من البلاد او ينزع السلطة منهُ ويرغمهُ على انكار جنسيتهِ

واما في المهاجر فتغلب القوة بطريقة لا تبعد عن طريقة الفتح لان المهاجرين اذا كانوا

اوربا وكثيرين طردوا السكان الاصليين وحلوا محلهم والاَّ فاما ان ينكروا جنسيتهم ويندمجوا في جنسية البلاد او ان يرحلوا عنها ويطلبوا مهجراً يستقلون به ويحافظون فيه على جنسيتهم

وعلى ذلك يكون افضل حلّ لتنازع الجنسيات اما الادماج والاندماج واما الفصل والانفصال وكلاهما لا يتمان الاَّ بالقوة والشواهد على ذلك كثيرة في التاريخ القديم والحديث

هذه هي مسئلة الجنسيات في نظر بعض علماء الاجتماع وهي الفصل الاخير من فصول المأساة التي بدأ تمثيلها منذ بدء المهاجرات او بعدها بمدة وكانت الفترات بين الفصول طويلة الاَّ انها لا تطول الى الابد فقد ارخي الستار على المشهد الاخير ليحضَّر بعده مشهد من اشد المشاهد هولاً تمثل فيه معارك عنيفة بين الحق والقوة وتنتهي بانتصار القوة

لا يوجد ناموس في الدنيا يحذر على الكائن الحيّ الاحتفاظ بشروط كيانه ولم يوجد في الدنيا من قال للاسد وهو يفترس خروفاً تخلَّ عن هذا الخروف . لان الاسد يقبض على الخروف بدافع يدفعهُ الى ذلك وهذا الدافع هو الحق الذي يخوّلهُ افتراسهُ . على ان للخروف ايضاً حقًّا بان يقتل الاسد اذا استطاع الى ذلك سبيلاً . فالحق والقوة يجتمعان في حالة الدفاع عن الحياة او في ما كان باهميتها . والشريعة المدنية نفسها تخوّل الانسان حق الدفاع عن نفسه اي تجيز لهُ في بعض الظروف ان يدافع عن حقه بالقوة . والحرب ليست الاَّ دفاعاً بالقوة عن حق للامة . يرى شعب ان شيئاً يلزم لحياته او لكمالياته فيمد يدهُ الى ذلك الشيء ويكون حقهُ به كحق الاسد بالخروف وصاحب ذلك الشيء يمنعهُ من اخذه اي يستعمل القوة للدفاع عن حقه وليس للمغلوب منعا ان يشكو بل عليه ان يستعد لاستئناف القتال في المستقبل . واذا غُلب ايضاً وحكم عليه بالانكسار الى الابد وجب ان يرضى بما حكمت عليه الطبيعة وان يعلم انهُ خروف وليس اسداً فيطبق احوالهُ الحيوية على احوال الظروف لانهُ لا يستطيع ان يحارب الطبيعة التي لم تلدهُ اسداً

للامة التي تُسلَب لغتها منها حق شرعي بالدفاع عن اثمن ملك لها واذا لم يكن لها قوة كافية للاحتفاظ بهذا الملك سقط حقها به . وللامة السائدة حق بالاحتفاظ بشرف لغتها ومنع كل امتياز يضرّ بها او يضعف اهميتها واذا لم تستطع ان تؤيد حقها هذا بالقوة وجب ان تذعن لمطالب الامة المسودة فتساويها بحقوقها وتتنازل عن سلطتها المطلقة وتحتفظ بما يستطاع من السيادة لانها اذا كانت شرطاً لازماً لحياتها اصبح زوالها قاضياً عليها بالموت لا محالة

لا يتوهمن احد اني ارمي في هذا البحث الى غاية مخصوصة او ان اعني فيه امة مخصوصة

اذ لا غرض لي بالسياسة ووجهتي فيه الوجهة العلمية الاجتماعية فالمّ بالمسئلة من كل اطرافها واطلقهُ على كل الجنسيات المختلطة على الالمان في النمسا وبوهميا وعلى الدمركيين في الشلسويك الشمالية والبولونيين في پوزن والرومانيين في ترانسلفانيا والطليان في الترانتين ولا استثني العرب في تركيا . فالخمس الملايين من الجرمان لهم الحق ان يحولوا الى مجر الاحد عشر مليوناً المغايرين لهم الذين في هنكاريا وكأنهم بذلك يستمرون على العمل لاستقراو الفتح الذي بدأ سنة ٨٨٤ . الاّ ان الالمان والسلاف والرومان الذين في هنكاريا لهم الحق ايضاً بان يدافعوا عن انفسهم فاذا فازوا على المجر ونزعوا منهم جنسيتهم سقط حق المجر وقضي عليهم ان يرضخوا لما قُدّر لهم منذ اكثر من الف سنة . والشك لهم حق بان يطلبوا مملكة لانفسهم يتحررون فيها من الالمان وكأنهم بذلك يستأنفون المعارك القديمة التي جرت بينهم وبين الالمان في المارش والجبال البيضاء . وللالمان حق ايضاً بان يقاوموا بالقوة قوة اكبر وان يشهروا حرباً ثالثة تكون الفاصلة بعد الحربين التاريخيتين السابقتين فيبرهنوا للشك نهائياً انهم ليسوا اكفاء لمقاومة الفاتحين الذين دخلوا البلاد منذ اثني عشر قرناً ولم يقاومهم فيها احد

بقيت لي الكلمة الاخيرة عن تركيا وهي البلاد التي تهمنا اكثر من سواها لانها الوطن الذي نحنُ اليه ونحافظ على وحدته وكيانه فاقول . ان انفصال بعض الجنسيات عن تركيا في الحرب الاخيرة قد يكون في مصلحتها ومنفعتها لانها كانت سوسة ينخر في جسم المملكة وبقي فيها جنسيتان كبيرتان متكافئتان هما الترك والعرب وما عداهما جنسيات صغيرة ليس لاحداها او لمجموعها من القوة ما يخشى منهُ على نزع السيادة من الامة السائدة ويُقدّر لها اما الرضوخ للقوة واما الاندماج في احدى الجنسيتين الكبيرتين . فاذا اذعن الاتراك لمطالب العرب وساووهم بانفسهم واشركوهم في الاحكام والادارات اشتد ساعدهم وصلح حالهم وقوي ملكهم والاّ كان القول الفصل للقوة وانتهى بها الاشكال على احد امرين اما الاذعان واما الانفصال وسيبرهن المستقبل صحة هذه النظرية ان لم يكن عاجلاً فاجلاً تلك سنة الكون لا تنقضها سياسة الرياء ولا تحولها عن مجرها الوعود الكاذبة والعقود المرقمة

ان مأساة الجنسية التي بدأ تمثيلها منذ الوف من السنين على مرسح العالم لا بد ان تختم بمشهد تشهدهُ اوربا تمثل فيه المذابح والشرور والجرائم وبجانبها الشجاعة والشهامة والشرف . تلك مظاهر الطمع والجشع وهذه مظاهر القوة الحيوية لان الفروع المنفصلة عن جذوعها تحنُ الى الرجوع الى اصلها فتجاهد ما استطاعت الى ذلك سبيلاً فاما ان تموت في جهادها او ان تفوز فتجتمع باصولها . ذلك جهاد عنيف تموت فيه الامم الصغيرة وتباد الفروع التي

ليس لها قوة كبرى من جنسها تفزع اليها وتخلصها من نير عبوديتها وتثبت الامم الكبرى التي لا يقوى عليها منازع . وقد ينقضي القرن العشرون قبل تمثيل هذا المشهد المؤلم ومن يعش بعده يكن في امن من حفظ جنسيته والتمتع بها حيثما كان

تلك سنة الحياة العامة والقوة تكسبها الحق بالبقاء وهي سنة تحكم على الشموس في الفضاء كما تحكم على النقاعيات في الماء واذا هلكت بها امة فلأن ليس لها قوة تساعدها على البقاء كالكائنات البيولوجية التي تهلك في ادوار النمو

الدكتور
امين ابو خاطر

العلاج الكيماوي

من خطبة الدكتور ارلخ في المؤتمر الطبي الدولي السابع عشر

ان اجتماعنا هذا في البلاد الانكليزية لغرض علمي حتى نشترك في عمل يعود بالنفع العميم على نوع الانسان يسرنا كلنا و يولينا شرفاً عظيماً لاننا مجتمعون في البلاد التي نبغ منها رجلان من اعظم الرجال في كل عصر ادورد جنّر ولورد لستر فاتب العمل العظيم الذي عملهُ جنّر فكسر بهِ شوكة الجدري ذلك الوباء الرهيب لا يزال يتلألأ بهاء منقطع النظير مع انهُ بدا في عصرهِ كهُ ظلمات . ولما اجتمعنا آخر مرة التففنا حول لورد لستر معجبين بهِ لانهُ باستعمالهِ مزيلات العدوى حوّل الجراحة من حال الى حال تحويلاً لا مثيل في تاريخ الطب . في البلاد التي أُنشئ فيها اول معهد للبحث عن امراض البلدان الاستوائية برئاسة السر فردوك منسن فجاء مثالاً لما انشئ على منوالهِ من المعاهد . والتي نشأ فيها روس الذي تناول اكتشاف لافران لسبب الملاريا وعمل من الاعمال المهمة ما فتح سبلاً صحية جديدة لمقاومة الامراض التي تنتشر في البلدان الحارة والبلدان المجاورة لها . وكلنا يعلم كيف اثبت كاستلياني ان سبب داء النوم نوع من الحلم المعروف باسم التريبانوسوم Trypanosome وكيف بحث بروس في الامراض الحادثة من انواع التريبانوسوم وبحث لشمن في سبب المرض المعروف بالكلا ازار . وقد ثبت فعل الاتوكسيل العلاجي في الامراض التريبانوسومية اولاً في معهد الامراض الاستوائية بلفربول اثبتهُ توماس وبريتل . وقال بلمر حديثاً بالطرطير المتيء كواسطة فعالة في معالجة الامراض المسببة عن الحلميات داخل الجسم